شخصيات مجمعية

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ هـ (الموافق ٢١ من مايو سنة ١٩٧٥ م) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج عضو المجمع .

وفيما يلي ما ألقي في الحفل :

كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور ـ رئيس المجمع في تأبين المغفور له

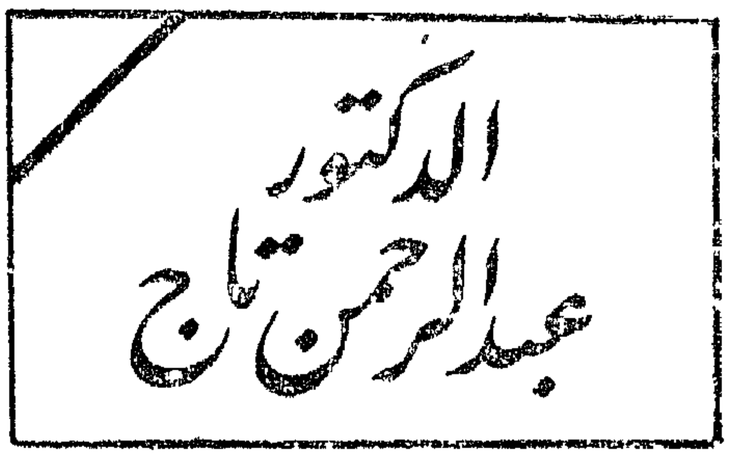

نجتمع اليوم لنودع شيخاً جليلا : وإماماً كبيراً : شيخاً في علمه ودرسه . وإماماً في صائب رأيه ، وسديد حكمه . لقد كان من بقايا السلف الصالح الذين امتلأ قلبهم بالإيمان الصادق ، واتسع صدرهم لكل جديد نافع . عرفناه بيننا منذ عدة سنين ، فأعطى مجمعنا هذا ما استطاع أن يعطي في سخاء كبير ، وعناية تامة ، لم يقعد به عن جلساته إلا مرض قاهر ، أو ضعف ظاهر ، هذا إلى أنه غذاه بأبحاث ستبقى على الدهر تراثا عربياً إسلامياً ممتازاً لا يجاريه فيه كثيرون . أخذنا عنه كثيراً ، وكنا نود أن نأخذ أكثر ، ولكن هذه سنة الله في خلقه ، تغمده الله برحمته ، وجزاه عن أمته ولغته خير الجزاء .

وسيتولى أستاذنا الفاضل الشيخ علي الخفيف أن يقول كلمة المجمع فيه . وبعد ذلك ستكون الكلمة لأسرة الفقيد رحمه الله .

والكلمة الآن للأستاذ الشيخ علي محمد الخفيف :

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس ، زملائى ، سادتى :

إن للحياة فى هذه الدار أنماطا متعددة وصورا مختلفة . فمن الناس من يحيا فيها بسلامة جسمه وقوة عضلاته ، ومنهم من يحيا فيها بسمو منصبه ووفرة ثرائه ، ومنهم من يحيا فيها بعلمه وعمله وابتكاره ، ولكل من هؤلاء وغيرهم أجله الذى إذا جاءه انقطع حبل حياته وانتهى منها وجوده ، إلا من كان له فى الناس ذكر بما ترك فيهم من علم يتدارسونه ، وأبحاث يهتدون بها . وأنماط من المعرفة تستثير بها بصائرهم ، وتزدهر بها معارفهم ، وتزول بها شكوكهم ، وتنكشف لهم بها حقائق مشكلاتهم . وعندئذ تمتد حياتهم ببقائها فيهم ، وفى باقية مابقى فى الدنيا حياة ، وما بقى لأهلها عقول وطموح ، ومابقى للنفوس مطامع ورغبات ، ومالما قاموا به من عمل حسنات ، ومالما أحدثوه من كشف فى العلوم وتوجيهات .

ولقد كان فقيدنا الدكتور الأستاذ الإمام الشيخ عبد الرحمن تاج — رضى الله عنه — من أولئك الذين حيوا بعلمهم ، وسموا بأخلاقهم ، وعلوا بأعمالهم ، فكتبوا لأنفسهم الخلود بما توكرا من علم يتدارس ، ومعرفة تتوارث ، وأفكار تهدى ، فكان فيه الأسوة الحسنة لمن أراد لنفسه سموا ولمنزلته علوا ، وللذكره بقاء ، ولحياته خلودا :

كان رضى الله عنه واسع الاطلاع ، كامل الثقافة وافر المعرفة ، خلف وراءه من الطلاب والأتباع من هيأ لهم وسائل نجاحهم ، وقرب إليهم موارد فلاحهم ، وآمالهم . وأتاح لهم من فرص وتحصيل العلوم وهضمها ماينمى مداركهم ويزيد فى معارفهم .

لقد فقدنا بفقده — رضى الله عنه — الشيخ الجليل ، والإمام العظيم ، والعالم الكبير ، والنابغة فى الفقه والتفسير ، والضليع فى العربية وعلومها ، فكان الخطب فيه جللا ، والخسارة فادحة ، لا للأزهر وحده ، ولا لمجمع اللغة فحسب ، بل للأمة الإسلامية جمعاء ، إذ كان رضى الله عنه أمة وحده ، عالماً متبحرا ، باحثاً مدققاً ، أستاذاً متمكنا ، مؤمناً برسالته ، مخلصاً لدعوته ، خلف لنا ثروة علمية قيمة ، فيما ترك من كتب ورسائل : وفيما نشر من مسائل ، وفيما زود به مجمع اللغة العربية من

أبحاث تضمنت أفكاراً مشرقة هادية ، وآراء سديدة قيمة . تنمّ عن علم زاخر ، ونظر دقيق . وبحث فاحص . ووزن سليم مع سلامة فى الأسلوب ، وروعة فى التعبير وإيجاز فى القول . واستيعاب فى البحث . تمثّل كل أولئكم فيما عرض له فى بحوثه التى قدمها إلى المجمع فى بيان الكتاب الحكيم وأسلوبه واختيار كلماته ، مع سلامة فى الحكم واستقامة فى النظر ، وتدقيق فى اختيار أحسن الآراء، وأقربها إلى فهم كتاب الله وأوضحها دلالة على بيان المعنى وإيضاح الغرض ، ولذا فانه قد ترك بوفاته رضى الله عنه فراغا لايملأ ، وأسى لاينسى .

كان رضى الله عنه سمحا فى أخلاقه متميزا فى أدبه ، متفوقا فى علمه ، لم ينل من نفسه زهو المنصب ، ومالمشيخة الأزهر من جاه ، وماتظفر به من مكانه فى النفوس ، وسلطان فى القلوب ، وماعزّت به من هيبة روحية ومكانة دينية ، ولم يكن ذلك ليشغله عن أن يكون باحثاً مدققاً ناقدا مفكراً ، لا يرضى إلا بالحقائق واضحة جلية مؤيدة بحججها ، لا بمن نُسبت إليه من قائل ، ولا بمن تُعزى إليه من باحث .

ولد رضى الله عنه بمدينة اسيوط سنة ١٨٩٦ ، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم ، وغلى قراءتها مجوده ، وتلقى بعض الروايات فى قراءاته ، كما حفظ بعض المتون ، وتلقى بعض مبادىء العلوم الدينية والعربية على من سقد من طلابها ، وقد أهّله ذلك الانتظام فى سلك طلبة المعاهد الدينية ؛ فالتحق بالسنة الثانية من معهد الإسكندرية . وقد كانت نظم المعاهد الدينية ومناهجها فى ذلك العهد محلا للنظر فى إصلاحها وتجديدها ، وتطويرها بما يقربها من نظم التعليم الحديث ، ويخلصها مما كان يعوقها عن الوصول إلى غايتها : من إضاعة الوقت فى تفهم الأساليب التى شابتها العجمة التركية أو العجمة البربرية والتراكيب الركيكة المبهمة ، التى خفيت دلالتها بسبب عجمة اصحابها وجهالتهم بقواعد العربية ، وما أرادوه لها من الاختصار والحذف مع إغفال القواعد النحوية . وكانت أول خطوة خطاها فى الإصلاح إنشاء معهد الإسكندرية وإرصاد الأموال الكفيلة بقيامه وحاجته ، واختيار الأساتذة والمدرسين الأكفاء من مدرسى الأزهر وعلمائه ، وإعداد وسائل الشرح والبيان مما ليس للمعاهد الدينية عناية به من قبل ، ووضع النظم الكفيلة بتطوير الدراسة وتقسيم زمنها واستقامة سيرها وتحديد مراحلها وطرق إفادة الطلاب منها ، وتحديد مواعيد انتهائهم من دراستها . وقد كان لذلك أثره فى نفوس الناشىء فولّوا وجههم قبل هذا المعهد ، وحجوا إليه ، واستبقوا العرفان والحكمة بالانضمام إليه ، والانتظام فى طلابه فكان ممن ارتحل إليه فقيدنا العظيم سنة ١٩١٠ النحق بالسنة الثانية من سنيه ؛ لما حصل عليه من دراسة سابقة فى أسيوط ، وظل يتابع الدراسة فيه حتى نال شهادة

العالمية سنة ١٩٢٣ ، وكان أول الفائزين بها فى هذا العام . وقد كان من آثار تلك الحركة الإصلاحية فى المعاهد الدينية ،وما قصد منها من استقرار النظام فيها ، إلغاء مدرسة القضاء الشرعى . بقصد الحفاظ على الأزهر ومكانته التقليدية . وعدم المساس بمآل طلابة ، وإنشاء قسم للتخصص فى القضاء الشرعى ومايقوم عليه من العلوم والنظم القضائية ، ليحل محل مدرسة القضاء الشرعى . فالتحق به فقيدنا بعد حصوله على العالمية . وحصل منه على شهادة التخصص فى القضاء سنة ١٩٢٦ وفى هذه السنة عين مدرسا بمعهد أسيوط الدينى ، وظل به إلى أن نقل منه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى سنة ١٩٣١ ، ثم نقل بعد عامين مدرسا بقسم التخصص للقضاء من كلية الشريعة بالأزهر سنة ١٩٣٣ . وذلك بعد قيام النظام الذى قضى بجعل الدراسة العالية بالأزهر ثلاث كليات تختلف الدراسة فيها باختلاف الغاية من إنشائها : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية . ثم عين مع ذلك سنة ١٩٣٥ عضوا بلجنة الفتوى ممثلا للمذهب الحنفى مع قيامه بعمله فى كلية الشريعة ، ثم اختير عضوا فى بعثة الأزهر إلى جامعة السربون بفرنسا سنة ١٩٣٦ . فسافر إليها وطالت مدة إقامته بفرنسا إلى سنة ١٩٤٤ بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، ومن جامعة السربون حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وتاريخ الأديان ، وبذلك جمع الفقيد رضى الله عنه بين الثقافتين : الثقافة الإسلامية الشرقية : والثقافة الغربية. لقد قضى فقيدنا رضى الله عنه هذه المرحلة من حياته المباركة طالبا مجداً شديد الحرص على دروسه ، كثير التفكير فيما كان يلقى عليه ويعيه فيها ، دائم القراءة فيما ينمى من معارفه ، ويوسع من مداركه ، ثم أستاذا باحثا واسع الأطلاع ، مجددا فيما وعاه من معرفة . وما عرض له من رأى : ومانشره من بحوث ، وماقام به من دروس ، وذلك بعد رجوعه من باريس ، وقيامه بالتدريس فى قسم تخصص القضاء من كلية الشريعة ، والعمل فى لجنة الفتوى عضوا بها وسكرتيرا فنيا لها ، ثم مفتشا للعلوم الدينية والعلوم العربية . فقائما بإدارة كلية الشريعة ، ثم بإدارة معهد الزقازيق حين تخلوهما ممن يديرهما ، ثم عين شيخا للقسم العام بالأزهر ، قائما على بعث البعوث الدينية للأقطار الإسلامية ، فكان له الأثر الحميد بوضع الأسس القيمة المحققة للغاية منها . ثم اختير بعد ذلك أستاذا للشريعة فى كلية الحقوق بجامعة عين شمس ، فعضوا فى لجنة وضع الدستور حتى ،إذا كانت سنة ١٩٥٤ عين شيخا للأزهر ،ثم وزيرا فى مجلس اتحاد الدول العربية سنة ١٩٥٨ ، وظل به إلى أن ألغى سنة ١٩٦١ . وفى سنة ١٩٦٣ انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ، ثم اختير بعد ذلك عضوا بمجمع البحوث الإسلامية.

لقد تخرج على يديه – رضى الله عنه – عدد كثير من العلماء ، مصريين وغرباء ، عادوا

إن بلادهم فكان لهم فيها بما كسبوه من معرفة وثقافة ودقة نظر أعلى المناصب الرئاسية وأسمى المراتب الدينية، وذلك فيما أخذوه عن أستاذهم العظيم من علم ، وماهداهم إليه من كشف ، وسلامة فى التقدير ، وماأكسبهم إياه من خلق وسلوك ، كما كان لتلاميذه المصريين فيه الأسوة الحسنة فى الجد والنشاط والإخلاص فى العمل ، والصدق فى القول ، والسداد فى الرأى ، ولذا سيظل رضى الله عنه حياً ماحييت آثاره ، ومادامت مآثره ، ومابقى لما قام به من إصلاح ذكر.

لقد كان رضى الله عنه من العلماء الأفذاذ الذين استطاعوا أن يفيدوا من التربية الأزهرية ومنهجها التربوى الاستقلالى؛ الماثل فى الاعتماد على النفس فى تحصيل العلم ووزن الأفكار ونقد الآراء، وفى السلوك القائم على الصدق فى القول والبعد عن الرياء والمناخر ، مع التمسك بالدين، فكان من خير من نشأهم الأزهر فى الجيل الماضى خلقا وعلماً وعملا وأدبا ، وواحداً من أولئك الصفوة الممتازة الذين حفظوا للأزهر ماضيه الكريم وقداسته الدينية ، ومكانته العلمية، وجددوا مآثره بما ألفوا للناس من كتب قيمة، وماتركوا فيهم من بحوث عميقة ممتازة ، كان للفقيد منها عدد وافر؛ نذكر منه فى الفقه كتابه فى السياسة الشرعية الذى اختير به عضواً فى جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وكتابه فى الأحوال الشخصية الذى وضعه لطلبة كلية الحقوق فى جامعة عين شمس ، ورسائل عديده بعضها فى الفقه المقارن، وضعه لقسم تخصص القضاء بكلية الشريعة بالأزهر ، وبعضها فى تاريخ التشريع ، وبعضها فى مناسك الحج وحكمها، وبعضها فى الإسراء والمعراج، وبعضها فى حكم التأمين على الحياة ، والتأمين ضد الحوادث ، وبعضها فى استثمار المال فى المصارف .

هذا، وله آثاره القيمة التى زود بها مكتبة مجمع اللغة العربية، فوسع بها بحوثه ونمّى مكتبته ، فكان له من ذلك :

١ — تحقيق القول فيما نسب إلى القرآن الكريم من زيادة بعض الكلمات ونقص بعضها . فكان له فى ذلك بحث عام فى حروف الزيادة ووقوعها فى القرآن ، وبحوث أخرى خاصة منها بحثه فى زيادة الباء فى القرآن ، وبحثه فى زيادة لا النافية فى بعض الآيات ، وإسقاطها فى آيات أخرى، وبحثه فيما تجب مراعاته فى بيان معنى الألفاظ المشتركة الواردة فى الكتاب العزيز واختيار أنسب معانيها لمقام ذكرها، وبحثه فى رد مظاهر الجرأة التى بدت من بعض المفسرين فى تفسير بعض آياته ، وبحثه فيما يخرج منه اللؤلؤ والمرجان وماقيل فيه من أنهما لايخرجان إلا من البحار ولايخرجان من الأنهار ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » .

٢ — وله ، رحمه الله ، عدا ذلك رسائل فى بعض القواعد النحوية ، والمسائل اللغوية كرسالته فى حكم « غير » إذا أضيفت أو أدخلت عليها الألف واللام، ورسالته فى حكم « إن النافية » و « إن الزائدة » والتفرقة بينهما فى الاستعمال ، ورسالته فى أفعل التفضيل

واستعماله ، ورسالته فى « إذوإذا » ورأى أبي عبيدة فيهما ، ورسالته فيما شاع من استعمال بعض الكاتبين لأفعل التفضيل حين يقولون : أكثر من واحد وما ماثله . وغير ذلك من الرسائل المخطوط منها والمطبوع ، وكلها تنبىء عن سعة الاطلاع فى الفقه والتفسير وعلوم العربية . ويتجلى فيها نشاطه ودقة بحثه . وسلامة رأيه . وحسن تقديره وابتكاره ، مع متانة التعبير ونقاء الأسلوب . وسموّ البيان وجمال العرض . فرضى الله عنه وأرضاه . وجعل الجنة مقره ومثواه ، وأفاض عليه رحمته ورضاه ، وأنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

•• كلمة الأسرة للاستاذ حسن عبدالرحمن تاج :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

حضرات السادة :

لقد كان المرحوم الوالد مثالا للعالم التقى منذ صغره وحتى لقى ربه . رعاه جده وراعاه بحبه ووهبه للقرآن . بدأ حياته بذكر خالقه فذكره الله وفتح عليه ، ولذكر الله أكبر قرأ القرآن الكريم فحفظه وأجاد قراءته وهو فى العاشرة ، فنال شفاعته له عند ربه . أتقن عمله بجده فى تحصيل العلم فأحبه الله وهداه صراطه المستقيم .

هبط الإسكندرية وداوم على الاشتغال بالعلم النافع ؛ فكان يقرأ الدرس قبل تلقيه ، ويجاوب فيه شيوخه ، وكان فى آخر كل أسبوع يلقى الدرس نيابة عن شيخه الذى يكون حاضرا ، فأحبه أساتذته وشهدوا بنبوغه وتفوقه . فكان ينجح فى كل سنة بتفوق من السنة الأولى حتى السنة النهائية . منحه أساتذته شهادة العالمية عن استحقاق ، فصار عالماً فضله عند الله تعالى على العابد كفضل نبينا عليه الصلاة والسلام على أدنى أصحابه .

لم يزل للعلم طالبا وبتحصيله ممسكاً ، حتى استقصاه درجات رفيعة عالية ، ولم ينس مع ذلك واجباته الأخرى ، فنال شهادة التخصص فى القضاء الشرعى ، وحج بيت الله الحرام ، ثم سافر إلى فرنسا ومعه أكباد ثلاثة وأمهم ، حيث حصل على درجة الدكتوراه ثم عاد بفضل ربه .

أما وقد اكتسب العلم وادخره فلا غرو كان بيت قلبه مقذف نور العلم فيه لا يعرف الصفات المذمومة ، أدب فأطاعه أبناؤه وانصاعوا لأمره ، علم فقدره طلابه وانتفعوا بعلمه .

راقب ربه وأخلص له نيته فحسن عمله وأصاب فى رأيه. كان من كبار العلماء وشيخا للمسلمين خارج وطنه أو فى عمادته أو فى عقر داره .

كان كثير المطالعة فى كتب تفسير القرآن كان يكشف عن تفسير آية ومعه عقله ، وقد حرره من قيود التقليد ، فإذا لم يقنعه قول المفسر تابع الآيه مع مفسرين آخرين: فإن لم يجد قولا معقولا أو وجد اجتهادا معقدا غير مستساغ ، استدعى ورقه وملأ بالمداد قلمه وراح يجمع على دائم التفكير عقله .

لم يكن ليفتعل الكتابة ، ولكن كان خواضا فى بحثه ، يعرض أقوال المفسرين وأدلتهم ، ويناقشها ثم يعرض على القارىء تساؤلات يتوقع أن يطرحها القارىء أو يدور حولها محور أدلته على رأيه المختار ، أو تكون أجوبتها مؤيدة لرأيه المختار . وبانتهاء القارىء من قراءة البحث يطمئن إلى اجتهاده .

كان يقرأ القرآن فتستوقفه الآية فيعيد القراءة مرات ، فيفطن إلى أن هناك قصوراً فى فهمه السابق فى الآية ، فيبدأ البحث ويواصله طول النهار . وكانت الآية تراوده حتى تؤرقه فيواصل التفكير فيها ليلا إلى أن يستجيب الله دعاءه ، ويوفقه إلى فهم مقبول فيها .

ومع هذا ، وبالرغم من ضعف صحته ، فقد كتب أبحاثا كثيرة فى فترة قصيرة . وكان موفقا فيها ، فلقد قال تعالى : «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

أدعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويسكنه جنات الفردوس . وأن ينفعنا بعلمه ويلهمنا دائم الدعاء له . ويوفقنا إلى كل ما هو فيه الخير .

والآن يطيب لى ولكل إخوتى ولأفراد أسرة المرحوم الشيخ عبد الرحمن تاج ، ولأصدقائه ، أن نتقدم بخالص الشكر للسادة رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية ، لقد قدرتموه إذ سألتموه بعمل معكم فى صالح مجلسكم ، وقدرتموه إذ إخلاصه أحببتم . وفى حبه أخلصتم . والآن قدرتموه إذ محاسن له ذكرتم . بررتم فيما وصدقتم ، فلكم منا أسمى آيات الشكر والامتنان . وفقنا الله وإياكم إلى كل علم نافع وعمل شافع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع :

أيها السادة .

لعلكم شهدتم لقاءات قبل ذلك فى استقبال تارة ، ووداع تارة أخرى ، ونحن فى حياتنا بين الاستقبال والتوديع ، وتلك سنة الحياة . ولكن أحب قبل أن أختتم هذه الجلسة أن أشير أن فقيدنا — وإن غاب عنا — فله آثار تعتبر استئنافاً لحياته ، وسوف تقرأون له غداً ، كما كنتم تقرأون له بالأمس فى مجلة المجمع ومطبوعاته .

تغمده الله برحمته ، وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .